العلم

قال الله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[١].

وعن قيس بن كثير قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجلٌ، فقال: يا أبا الدرداء إني جِئتك من مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تُحدّثه عن رسول الله ﷺ، مَا جئت لحاجة. فقال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٢].

أيها المسلمون:

أتعلمون أيَّ موضوعٍ تَكلم عنه القرآن في أكثر من ستمائة موضع؟

أتعلمون أي موضوعٍ تكلم عنه القرآن بالقَدرِ الذي تكلم به عن الإيمان؟

أتعلمون أي موضوع تناولته أحاديث رسول الله ﷺ بأكبر عدد ممكن؟

أتريدُ أن يُريد الله بك خيراً؟

أتحبُ أن تُدَلّ على طريق يوصلك إلى الجنة؟

أتحبُ أن تجالس الملائكة، بل أن تضع الملائكة أجنحتها لك رضىً بما تصنع؟

أتحب أن تجلس في روضة من رياض الجنة؟

أترغبُ أن تكسب الدنيا والآخرة؟

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٧١)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٣٨٩)، وأحمد في "مسنده" برقم (١٦٩١٠).

٢- أخرجه أبو داود في "مسنده" برقم (٣٦٤١)، والترمذي في "جامعه" برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في "سننه" برقم (٢٢٣)، وأحمد في "مسنده" برقم (٢١٧١٥).

أتريدُ أن تكون وارث رسول الله ﷺ؟

إن كان جوابك في كل ما سبق: نعم، فعليك بالعلم.

– عليك بالعلم لكي يَرفع الله مقامك في الدنيا ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

– عليك بالعلم لتكون ممن يخشى الله ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

– عليك بالعلم لكي يُراد بك الخير، «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[٣].

– عليك بالعلم لتكون في طريق الجنة «**من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**»[٤].

– عليك بالعلم لتكسب عِزَّ الدنيا والآخرة، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما جميعاً فعليه بالعلم).

– عليك بالعلم ليستغفر لك من في السموات ومن في الأرض، قال رسول الله ﷺ: «**إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الطير في الهواء والحيتان في الماء**»[٥].

– عليك بالعلم لتكون وارث رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**العلماءُ ورثةُ الأنبياء**»[٦].

نعم، هذا هو العلم أيها الإخوة، وهذه هي بعض مقاماته.

كيف لا يكون كذلك، وأولُ كلمة نزلت في هذا الدِّين من السماء: ﴿**اقْرَأْ**﴾ [العلق: ١].

كيف لا، وقد نزل هذا الدِّين على أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ولا تعلم، فحولهم إلى علماء حكماء فقهاء كادوا أن يكونوا أنبياء.

كيف لا، والنبيُّ ﷺ كان يقول لهم: «**إنما بعثتُ معلماً**»[٧]، ويقول: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٨].

---

٣ – تقدم تخريجه.

٢– ذكره البخاري في "صحيحه": كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل ص١٦ معلقاً. وأخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٧٠٢٨)، وأحمد في "مسنده" برقم (٧٤٢٧) في حديثٍ طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣– سبق تخريجه.

٤– سبق تخريجه.

١– أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (٢٩) في خاتمة حديثٍ من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وفي إسناده ثلاثة من الضعفاء؛ كما في "الزوائد" للبوصري، وضعّفه العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء".

مديرية أوقاف دمشق

يقول علماء اللغة إن كلمة (إنما) تفيد القصر والحصر، أي: لقد بعثتُ معلماً حصراً وقصراً، ولقد بُعثتُ مربياً لأخلاقكم، معلماً ومؤدباً.

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يَبذلون قُصارى جُهدهم لأجل التعلم والتعليم.

فهذا ابن مسعود ﷺ يقول: (كُنَّا نَتعلم عشر آيات عشر آيات).

وهذا ابن عمر ﷺ يقول عنه الإمام مالك: (بلغني أن ابن عمر ﷺ مَكث على سورة البقرة ثماني سِنين يَتعلمها).

وهذا جابر بن عبد الله ﷺ يَرحل مَسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنيس في حديث واحد بلغه أنه سمعه من رسول الله ﷺ.

وهذا رجل يَرحل إلى أبي الدرداء ﷺ من المدينة المنورة إلى دمشق لِيَسمع منه حديثاً واحداً.

وهذان أَخوان من الصحابة رضي الله عنهما في زمن رسول الله ﷺ كانا يتناوبان عند النبي ﷺ، يَنزل هذا اليوم إلى العمل وينزل الآخر إلى رسول الله ﷺ يتعلم منه، فإذا عاد أخوه من العِلم عَلَّمه ما تَعلم، ثم يَنزل الآخر من الغَد إلى العَمل ويَنزل الأول إلى رسول الله ﷺ يَتعلم منه العلم، فإذا عاد أخوه من العمل عَلمه ما تَعلم.

وهذه مجموعة من المهاجرين والأنصار ﷺ، كان بعضهم يعمل في التجارة، وبعضهم في الزراعة، حتى إذا كان آخر النهار وانتهوا من أعمالهم، جاؤوا أبا هريرة ﷺ يتعلمون منه ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛لأن أبا هريرة كان يلازم رسول الله ﷺ.

وقال سيدنا الحسن بن علي ﷺ حفيد رسول الله ﷺ: (يُوزن مداد العلماء بدم الشهداء، فيرجح مِداد العلماء).

وكان لقمان الحكيم يوصي ولده يقول: (يا بُني، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء).

أيها الإخوة:

٢- أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ بهذا اللفظ. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (١٤١٨٨): ورجاله رجال الصحيح. ورواه البزار في "مسنده" برقم (٨٩٤٩)، وذكر الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح غيرَ مُحَمَّد بن رزق الله الكلوذاني، وهو ثقة.

تروي كتب السيرة أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءه الرجل مسلماً في المدينة المنورة يأمره أن يلحق بمسجد حَيِّه، فيلحق الصحابيَّ الفلاني حتى يُعلمه القرآن والدِّين مع أقران له.

وتروي أن أقواماً من اليمن كانوا يأتون رسول الله ﷺ يَطلبون منه مُعلمين، فيرسل رسول الله ﷺ معهم مَنْ يُعلمهم أمر دينهم.

فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه يُرسله ﷺ مُعلِّماً إلى المدينة المنورة قبل هجرته إليها، فيتعلم منه أهل المدينة.

وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه يُرسله ﷺ إلى اليمن لِيُعلم أهلها، فيتعلم منه أهل اليمن.

وهذا دَحية الكلبي رضي الله عنه يُرسله ﷺ إلى الشام لِيُعَلم أهلها، فيتعلم منه أهل الشام.

وها هُم الصحابة عموماً قبورهم مبثوثة في أرجاء المعمورة.

سجلوا عندكم إذا سمحتم:

فهذا الإمام علي كرم الله وجهه من مواليد مكة المكرمة وهو مدفون بالعراق.

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه صحابي من مواليد مكة المكرمة، وهو مدفون في قلعة دمشق.

وهذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه صحابي من مواليد المدينة المنورة، وهو مدفون تحت أسوار القسطنطينية في تركيا.

وهذا القثم بن العباس رضي الله عنه صحابي من مواليد مكة وهو مدفون في الصين.

وهذه أم حرام رضي الله عنها مدفونةٌ في قبرص.

ماذا ذَهب هؤلاء الأبطال يَصنعون في أرجاء الأرض؟

لقد ذهبوا معلِّمين إلى أهل الأرض جميعاً.

هذا هو الدين أيها الإخوة، عَلِّمْ وتَعَلَّم.

هذا هو الإسلام أيها الناس، عِلْم وتَعَلُّم.

والناس صنفان: عَالِم أو مُتعلم، ولا خير فيمن سواهما، قال رسول الله ﷺ: «**ليس مني إلا عالم أو متعلم**»[1].

قال الحسن البصري: (بابٌ من العلم يَتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها).

وقال عيسى عليه السلام: (مَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ؛ فذلك يُدعى عظيماً في ملكوت السموات).

١- أخرجه الديلمي ٤١٩/٣، برقم (٥٢٧٩)، والهروي في "فوائده"، وابن النجار عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وخرج رسولُ الله ﷺ ذات يوم فرأى مَجلِسَين: أحدهما يَدعون الله عز وجل ويرغبون إليه، والثاني يعلمون الناس، فقال: «**أما هؤلاء فيسألون الله تعالى، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بعثت معلِّماً، ثم عدل إليهم وجلس معهم**»[١٠].

والحمد لله رب العالمين

***

٢- سبق تخريجه.